خَاتِمَة

لقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، تتعلق في مجملها بماهية اللسانيات التداولية وأصولها اللسانية والفلسفية في الفكر اللساني الغربي،إذ إنّ هذا الفرع اللساني الحديث تعدى حدود الجملة وأوجد تصورات ومفاهيم جديدة تربط السياق اللغوي بمحيطه وظروفه التبليغية وعملية التواصل وما تقتضيه من استعمال لغوي متواضع عليه له دلالة معينة بين مستعمليه،كما يتطلب الموقف التواصلي متكلما له مقصد يود إيصاله إلى شريكه في التواصل،وفائدة ينبغي حصولها بعد كل عملية تواصلية تكون ثمرة لها ونتيجة لازمة عنها،ثمّ مستمعا ينتمي إلى نفس الجماعة اللغويّة للمتكلم، ويكون قادرا على الاستنباط والاستنتاج في ظل التعاون التواصلي القائم بينهما، والمبني على خلفيات تتحكم فيها الأعراف الاجتماعية والضوابط الأخلاقية المحيطة بمقام الخطاب،كل ذلك حتى يحصل الفهم والإفهام .

ونتائج أخرى تتعلق بملامح التداولية المتناثرة بين طيات التراث اللغوي من نحو وبلاغة وأصول، ممّا يثبت أن العلماء العرب كانوا غير بعيدين عن صميم موضوع هذا الحقل المعرفي الحديث.

ويمكن أن تتدرج نتائج البحث كالآتي:

1- إن التداولية مصطلح جديد تربع على مساحة واسعة من ساحات الدرس اللغوي الحديث، وتشعبت جذوره وأصوله بين عدّة علوم، وامتد ليتصل بدراسات أخرى لها صلة بالمنطق والفلسفة والسيميائية واللسانيات، وهو شديد العناية بالأفعال الكلامية وهي الأفعال التي تتصف بتحقق الإنجاز والحدوث في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع، ويدلّ

مصطلح الأفعال الكلامية على الأفعال ذات القوة المتضمنة في القول لتحقيق الفعل كالوعد والطلب والترجي والاستفهام والتمني...

2ـ إن التداولية في جوهرها تقوم على رفض ثنائية اللغة /الكلام (Langue/parle) التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة "دوسوسير" القائلة بأن اللغة وحدها دون الكلام هي الجديرة بالدراسة العلمية ،وعلى ذلك فإن التداولية تُعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، فتأخذ على عاتقها تحليل الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي.

3ـ إن القصدية تعني التوجه مطلقا،وهي في فلسفة العقل تعني توجه العقل البشري نحو الأشياء الخارجية التي يمثلها لنفسه،وفي فلسفة اللغة تعني توجه المتكلم باللغة نحو المعاني التي يؤمها حتى يعبر عما يريد استنادا إلى قصدية العقل التي تحوي صور تمثيلية متعددة فقصدية اللغة مستمدة من قصدية العقل.

4ـ عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة التداولية وناقشوها في كثير ممّا وصلنا من تراث، وهم وإن لم يؤصلوا لمصطلح التداولية بلفظه،فقد توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي، وترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب الخبر والإنشاء، ولم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اهتمام اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب، بل اعتنى بها عناية شديدة كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليين والفقهاء.

5. إنّ مبدأ الفائدة والاهتمام بقصد المتكلم وحال السامع تلخصها القاعدة التداولية "أمن اللبس" التي وضعها نحاتنا وقد قصدوا بالفائدة والقصد الكلام الذي يفهم منه معنى يحسن السكوت عليه.

6. أمن اللَّبس غاية الاستعمال وقوام النظام إذ تصبح قطبية المعنى هي قطب الرحى في التواصل باللغة، فالمعنى هو همّ المتكلم حين يعمد إلى العبارة عن ذات نفسه جاهدا في أن ينفي عن مراده اللّبس، وهو همّ السامع حين يجهد في الفهم عن المتكلم واستبانة

مقاصده،من غير أن يجعل لعوارض اللّبس والغموض سلطانا على معقوله،وهو همّ النحوي أو اللغوي في جهده الناصب وراء ربط المباني والمعاني،وبين الشكل والوظيفة.

7ـ اختلف علماء اللّغة فيمن يحسن السكوت عليه ،ورجّح كثير منهم أنه المتكلم لأن التكلم صفته، ولكنني أرى أنه السامع لأنّهم قالوا: يحسن السكوت عليه وليس بعد قوله أو النطق به،و"عليه" تعود على الكلام الّذي يتلقاه السامع ،فيقبل ما يسمع أو يثور عليه ويرفضه .

8ـ أن هناك فرقا بين المعنى والفائدة ،فكل كلام له فائدة له معنى وليس كل كلام له معنى له فائدة كالكلم المفرد مثلا ولذلك اهتمّ النحاة بالجملة باعتبارها أصغر وحدة كلامية تنقل المعنى،وتبين قصد المتكلّم وتحققّ فائدة تواصلية للمتلقي،ولا يمكن أن يتأتى هذا بالكلم المفرد إلاّ بعد أن ينطق به المتكلّم مضموما بعضه إلى بعض،مرتباً بحسب ترتيب المعاني في نفسه،ولذلك أقرّوا أنّ الفائدة التواصلية تحدث في ركني الكلام وليس في أحدهما منفردا عن الآخر.

9ـ حضور لفظ "الإفادة" في مصنفات النحاة القدامى أكثر من مصطلح القصد لكون الفائدة لا تحصل إلا عن قصد.